الفرع الخامس

أثر الوقف على المعلمين والدعاة والمتعلمين

"ساهم الوقف وبشكل فاعل في تقدم العلوم والمعارف المتنوعة من خلال تكفله في حالات كثيرة بصرف استحقاقات للمعلمين في المدارس والمساجد الموقوفة، مما جعل هؤلاء المعلمين يحصلون على عيش كريم، بالاعتماد على ما تُدره الأموال الموقوفة عليهم؛ حيث استطاعوا أن يستقلوا ويتفرغوا لهذا العمل الشريف.

فبعض الأوقاف شملت الإنفاق على المدارس، بما تتطلبه من مصروفات للعاملين من معلمين وخدم وتجهيزات وغيرها.

كما أن بعض الأوقاف خصصت للصرف على المعلمين فقط، كما خصصت بعض الأوقاف للصرف على الفقهاء الذين يؤمون المساجين، ويعلمونهم ويصلحونهم ليخرج هؤلاء من السجن متقنين لعلم من العلوم" [1].

الوقف على المتعلمين: -

"شجع الوقف على المتعلمين الانخراط في التعليم والاستفادة من التسهيلات التي وفرت في المساجد والمدارس والمكتبات من خلال تكفله بتأمين احتياجات المتعلمين من اللوازم الدراسية المختلفة؛ حيث خصصت بعض الأوقاف لتعليم الطلاب والصرف عليهم مجاناً وإسكانهم في الأقسام الداخلية والوقف على التعليم يستوي في الاستفادة منه الصغير والكبير والغني والفقير؛ فلا يحرم منه أحد، ويرحل الكثير من طلاب العلم إلى أماكن هذه الأوقاف لطلب العلم كما حدث في القاهرة، حيث أدت التسهيلات الوقفية إلى أن يفد إلى القاهرة طلاب العلم والعلماء من مغرب العالم الإسلامي ومشرقه.

كما أن القدس كانت محط رحال الكثير من العلماء والطلبة من مختلف أنحاء العالم

---

(١) الدور الاجتماعي للوقف د. عبد الملك أحمد السيد ص٢٠.

الإسلامي نتيجة لوجود المسجد الأقصى والذي كان منارة للعلم وغيره من المساجد.

وعـــندما زار الرحالة ابن جبير المشرق، ورأى تعداد المدارس والأوقاف التي تنفق عليها بوفـــرة، مما شجع طلاب العلم على الاستمرار، ناشد أبناء المغرب أن يرحلوا إلى ديار المشرق لتلقـــي العلـــم، إذ نجده يقول:تكثر الأوقاف على طلاب العلم في البلاد الشرقية كلها وبخاصة دمـــشق، فمـــن شاء الفلاح من أبناء مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد*، فيجد الأمور المعينة على طلب العلم كثيرة وأدلها فراغ البال من أمر المعيشة" (١) .

"ولقـــد قـــام الوقـــف في مختلف العهود الإسلامية، بدور فعّال ونهض بدور اجتماعي واقتـــصادي وثقـــافي، كان له أثره في تخفيف العبء على الأجهزة المسؤولة في الدولة، وتقليل الـــنفقات المالية المتعلقة بالموازنة العامة لها، وكفل للعديد من طلبة العلم والعلماء أرزاقهم، كي يتفرغوا لشؤونهم العلمية، إذ لا ينبغي لطالب العلم أن ينشغل بشيء آخر غير العلم ولا يعرض عن الفقه" (٢) .

"قال الشافعي رحمه الله: "لو كلفت بشراء بصلة ما حفظت شيئاً من العلم" فهذه المقولة الرائعة والكلمة المأثورة ليست حكمة تظهر أثر التفرغ للعلم فحسب ولكنها تضيء جانباً من الظـــروف الاجتماعـــية والثقافية لعصر الإمام الشافعي وغيره من الأئمة والأعلام وحملة العلم وطلاب المعرفة والثقافة في ذلك العصر، حيث يبدو المجتمع بمؤسساته ومرافقه وكأنه يحمل عن الإمـــام عـــبء التكليف المعاشي وتبعة هموم الحياة؛ ليصبح الإمام مقياس العصر وسمته في جانبه

---

* ممـــا ينبغي الإشارة إليه أن مهمة الدعوة لم تكن مقصورة على الدعاة فحسب، أي من تخصصوا في هذا المجال فقط بل كان العلماء من أسلافنا -رحمهم الله- بجانب اشتغالهم بفروع العلم المتنوعة يقدمون خدمات عظيمة في الدعوة إلى الله بتعلـــيم الجاهل وإرشاد الضال، وتأهيل طلاب العلم، ليقوموا بدورهم في الدعوة إلى الله ولذا فإن الدعوة إلى الله، تـــشمل كل نشاط إنساني علمي يهدف إلى تعبيد الناس لله وإقامة شرع الله وإقامة العدل وإقامة الحجة على الناس.

(١) الدور الاجتماعي للوقف- د. عبد الملك أحمد السيد ص٢٠-٢٢.

(٢) الوقـــف مـــشروعيته وأهميته الحضارية —د. أحمد بن يوسف الدريوش ص٣٨- ط١ — ١٤٢٠هـــ- ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية — مكة المكرمة.

العلمي والفكري والحضاري" [1] .

"لقـــد أدت الطبقة المتعلمة دوراً رئيساً في انتقال المعرفة والمعلومات الإنسانية والعلمية والأخلاقـــية والقيم الدينية، بأن نقلوها لمختلف أبناء الأمة الإسلامية، وأتيح لكل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي الفرصة، أن يكون عضواً فعالاً في هذه الفئة التي اتصفت بالعلم والمعرفة.

كما أن العلماء بالرغم من كونهم مستقلين عن الإدارة والتأثير السياسي، إلا أنهم كانوا المصدر الرئيس الذي رفد الجهاز بكل احتياجاته، كما كانت المدارس والمساجد المصدر لتنمية وإمداد الأجهزة والدواوين الحكومية بما تحتاجه من قوى بشرية مؤهلة، وفي الوقت نفسه نجد أن الكثيرين من المعلمين والفقهاء الذين اعتمدوا في تعليمهم ومعاشهم الحياتي على أموال أمدهم بها الأوقاف قد اندمجوا كذلك في الأعمال الاقتصادية، والنشاطات التجارية الفردية" [2] .

إن الوقـــف علـــى العلماء والدعاة وطلاب العلم كان لـــه أثره الجلي في تفرغ العلماء للـــبحث والتأليـــف والتـــصنيف ومناظرة أهل البدع والخرافات، وإن ما لدينا الآن من تراث إسلامي عظيم يعتبر من مرجعيات الدعاة بعد القرآن والسنة. كل ذلك ماهو إلا من ثمار الوقف على المؤسسات التعليمية، التي أسهمت في توفير الجو الملائم لتأهيل العلماء والدعاة الذين قاموا بخـــدمات عظيمة من خلال تلك المصنفات القيمة، والمخطوطات العلمية النادرة التي تعتبر من كنوز التراث الإسلامي، وهذا يوضح لنا بجلاء أثر الوقف على العلماء والدعاة.

(١) الوقـــف في الفكـــر الإسلامي – محمد بن عبد العزيز بنعبد الله-١/٣١- ط١ – ١٤١٦هـــ/١٩٩٦م – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المملكة المغربية.

(٢) الوقف وأثره في حياة الأمة – د. محمد بن أحمد الصالح ص٣٦.